الامام الشافعى وعنايته

بالسنة

ومن كتب السنة التى وصلت إلينا ، مما صنف فى هذا العهد « مسند » الامام الشافعى رحمه الله تعالى . وقبل أن نعرف بعناية الامام الشافعى بالسنة نعرف به ، فهو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافى بن السائب يلتقى نسبه مع رسول الله صلى الله فى عبد مناف ولد بغزة سنة خمسين ومائة ١٥٠ هـ ، وتوفى والده وهو صغير ، فنقلته والدته الى مكة المكرمة وهو ابن سنتين .

وفى مكه المكرمة قرأ القرآن الكريم وأقام فى هذيل نحوا من عشر سنين فتعلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وغيره من الأئمة .

وفى المدينة المنورة أخذ العلم عن الامام مالك ، وقرأ عليه الموطأ ، كما أخذ عن ابراهيم بن أبى يحيى ، ولم يلبث أن ذاع صيته وصار يقصده الناس من كل مكان ، جلس أحمد بن حنبل مرة معه ، فجاء أحد اخوانه يعتب عليه تركه مجلس ابن عيينة شيخ الشافعى وجلوسه الى هذا الأعرابى فقال له أحمد : اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده ، ما رأيت أحدا أفقه بكتاب الله من هذا الفتى .

وقد تولى الحكم بنجران من أرض اليمن ، وعاد الى مكة ثم قدم العراق ثم رجع الى مكة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة رحل الى العراق للمرة الثالثة وفى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة انتقل الى مصر فأقام بها الى أن توفى سنة ٢٠٤ هـ أربع ومائتين .

---

(١) مناهج المحدثين د . أحمد عمر هاشم .

وفى مصر كان مذهبه الجديد ، وكانت مصنفاته الخالدة التى رواها عنه تلاميذه «كالأم» «والرسالة» وكتاب «السنن» وكانت له عنايته الفائقة بالسنة حتى غلب على متبعى مذهبه لقب «أصحاب الحديث» وكان أهل بغداد يطلقون عليه «ناصر السنة» .

وكان ينهى عن ترك الكتاب والسنة الى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم يقول : لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد .

ونظرته الى أهل الحديث تشير الى منزلتهم وأهميتهم فهو يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ، ومن شعره فى ذلك :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... الا الحديث والا الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه «قال حدثنا» ... وما سوى ذاك وسوْاس الشياطين

نشأته وطلبه للعلم ونبوغه

حدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير : أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد ابن ادريس الشافعى وهو مستحض فى طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له إلى كم هذا .. لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك ، وانصرفت به معى إلى المدينة فذهب به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك من العلم عند مالك بن أنس إلا القليل ولا شيئا عند شيخ من مشايخ المدينة الا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقط إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين .

قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذى صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدث الابرى أبو الحسن محمد بن الحسن بن ابراهيم بن عاصم الآبرى السجزى

قال : سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن محمد بن المولد الشرقى يحكى عن زكريا بن يحيى البصرى عن زكريا النيسابورى كلاهما عن الربيع بن سليمان وبعضهم يزيد على بعض فى الحكاية قال :

سمعت الشافعى يقول : كنت أنا فى الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنت ـ قبل أن يفرغ المعلم من الاملاء ـ قد حفظت جميع ما أملى ، فقال لى ذات يوم : مايحل لى أن آخذ منك شيئا . فقال : ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل وأكتاب الجمال أكتب فيها الحديث وأجىء إلى الدواوين فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمى حباب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ، ثم إنى خرجت عن مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمربى رجل من الزبيريين من بنى عمى فقال لى ، ياأبا عبد الله : عز على ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت أهل زمانك ، فقلت : عمن بقى نقصد ؟ فقال لى : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوقع فى قلبى فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته فى تسع ليال ظاهرا قال : ثم دخلت إلى والى مكة وأخذت كتابه إلى والى المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالى .

فما أن قرأ قال : يافتى إن مشيى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون على من المشى إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقلت : ـ أصلح الله الأمير ـ أن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معى وأصابنا من تراب العقيق فلنا بعض حاجتنا . قال : فواعدته العصر وركبنا جميعا ، فوالله لكان كما قال فلقد أصابنا من تراب العقيق . قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولى لمولاكى إنى بالباب قال : فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاى يقرؤك السلام ويقول إن كانت مسألة فارفعها فى رقعة يخرج إليك الجواب .

وأن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولى له إن معى كتابا

من والى مكة إليه فى حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفى يدها كرسى فوضعته ، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالى الكتاب ، فبلغ الى هذا " إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع " فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله ... أو صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل . قال : فرأيت الوالى وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : ـ أصلحك الله ـ إنى رجل مطابى ومن حالى وقصتى ، فلما أن أن سمع كلامى نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لى : ما اسمك ؟ قلت محمد ، فقال لى يامحمد : اتق الله واجتنب المعاصى ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غدا تجىء ويجيىء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

مال فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه مظاهرا والكتاب فى يدى فكلما تهيبت مالك وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتى واعرابى فيقول يافتى زد حتى قراته فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لى بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوما غشوما وكنت ربما آخذ على يدي وأمنعه من الظلم .

قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا ـ فكتب الوالى ـ وإنى أخاف أن يخرجوا وأن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولانهى . قال : فكتب إليه هارون الرشيد : أن أحمل هؤلاء واحمل الشافعى معهم . فقرنت معهم . قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال فدعا هارون الرشيد بالنطع والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت محمد بن الحسن فقال : ياأمير المؤمنين ، هذا المطابى لايغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن ، فقلت مهلا ياأمير المؤمنين ، فإنك الداعى وأنا المدعو وأنت القادر على ماتريد منى ولست القادر على ما أريد منك .

ياأمير المؤمنين ، ما تقول . فى رجلين : أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده ، أيهما أحب إلى ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : قلت فذاك أنت ياأمير المؤمنين . قال فقال لى : كيف ذاك ؟ فقلت ياأمير المؤمنين : إنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم . قال : فسرى ماكان به فاستوى جالسا فقال : ياابن ادريس : كيف علمك بالقرآن ؟ قلت : عن أى علومه تسألنى ؟ عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبيى وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وما خوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به الخاص يراد به العام . فقال لى : والله ياابن ادريس لقد ادعيت علما فكيف

عملك بالنجوم ؟ فقلت إنى لأعرف منها البرى من البحرى والسهلى والجبلى والفيلق والمصبح وما تحب معرفته . قال فكيف علمك بأنسان العرب ؟ قال : فقلت إنى لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبى نسب أمير المؤمنين .

قال : لقد ادعيت علما فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليمانى فوعظته بها ، فبكى وأمر لى بخمسين ألفا وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفا على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه . قال : فلحقنى هرثمة وكان صاحب هارون الرشيد . فقال : اقبل هذه منى . قال فقلت له : إنى لا آخذ العطية ممن هو دونى وانما آخذها ممن هو فوقى . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجه بها إلى . قال : فكتبت لى ووجه بها إلى .

جمعه لشتى العلوم

حدث الربيع بن سليمان أنه قال : كان الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف ، رضى الله عنه .

وحديث محمد بن عبد الحكم قال : مارأيت مثل الشافعى كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث ، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيقومون وهم متعجبون منه وأصحاب الفقة الموافقون ، والمخالفون لايقومون إلا وهم مذعنون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه . وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل إعرابها ومعانيها ، وكان من أعرف الناس بالتواريخ ، وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله تعالى .

وحدث محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : أخبرنا أبو الحسن عن عبد

الرحمن عن أبى محمد ابن ابنة الشافعى . قال : سمعت الجارودى أو عمى أو أبى أو كلهم عن مسلم بن خالد : أنه قال لمحمد بن ادريس الشافعى وهو ابن ثمان عشرة سنة : " أفت ياأبا عبد الله فقد آن لك أن تفتى " .

وقال الحميدى : كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأى فلم نحسن كيف نرد عليهم ، حتى جاءنا الشافعى ففتح لنا .

وقال أبو اسماعيل الترمذى : سمعت اسحق بن راهويه يقول : كنا بمكة ـ والشافعى بها وأحمد بن حنبل بها ـ فقال لى احمد بن حنبل : ياأبا يعقوب ، جالس هذا الرجل (يعنى الشافعى)قلت : ماأصنع به ، وسنه قريب من سننا ؟ أأترك ابن عيينة والمقرىء ؟ فقال ويحك أن ذاك يفوت وذا لايفوت ، فجالسته .

وحدث أبو بكر بن ادريس عن الحميدى . قال خرجت مع الشافعى إلى مصر وكان هو ساكنا فى العلو ونحن فى الأوسط فربما خرجت فى بعض الليل ، فأرى المصباح فأصبح بالغلام فيسمع صوتى فيقول بحقى عليه أرق فارقى ، فإذا قرطاس ودواة فأقول : مه ياأباعبد الله ، فيقول : تفكرت فى معنى حديث ـ أو مسألة ـ فخفت أن يذهب على ، فأمرت بالمصباح وكتبته .

وحدث محمد بن يحيى بن حسام قال : سمعت أحمد بن حنبل قال : " كان ـ محمد بن ادريس الشافعى ـ أفقه الناس ، فى كتاب الله " " عز وجل " وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يكفيه قليل الطلب فى الحديث .

وحدث محمد بن الفضل البزار قال سمعت أبى يقول : حججت مع أحمد بن حنبل ، ونزلت فى مكان واحد معه أو فى دار (يعنى بمكة) وخرج أبو عبد الله (أحمد بن حنبل) باكرا ، وخرجت أنا بعده ، فلما صليت الصبح ، درت المسجد ، فجئت الى مجلس سفيان بن عيينة وكنت أدور مجلسا مجلسا ، طلبا لأبى عبد الله (أحمد بن حنبل) حتى وجدت أحمد بن حنبل ، عند شاب أعرابى وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده من الزهرى وعمرو ابن دينار وزياد بن علاقة والتابعين ـ ماالله به عليم ؟ فقال لى : اسكت ، فإن فاتك حديث

بعلو تجده بنزول ـ لايضرك فى دينك ولا فى عقلك ، وإن فاتك أمر هذا الفتى ، أخاف أن لاتجده الى يوم القيامة مارأيت أحدا أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى ، قلت : من هذا قال : محمد بن ادريس الشافعى .

تواضعه وخضوعه للحق

قال الحسن بن عبد العزيز الجروى (شيخ البخارى) المصرى قال الشافعى :

مانظرت أحدا فأحببت أن يخطىء ، وما فى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولاينسب إلى .

وأخبر الربيع قال : سمعت الشافعى ودخلت عليه وهو مريض ، فذكر ما وضع من كتبه ، فقال لوددت أن الخلق تعلمه ولم ينسب الى منه شىء أبدا .

ومن أقواله رحمه الله تعالى :

وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولايحمدونى .

كل ماقلت لكم ـ فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله وتراه حقا فلا تقبلوه ، فإن العقل مضطر الى قبول الحق . ما ناظرت أحدا إلا على النصيحة .

ورعه وعبادته

وحدث الربيع المرادى المصرى قال : كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة ، كل ذلك فى صلاة .

وحدث الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى : ماشبعت منذ ست عشر سنة إلا شبعة

طرحتها لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة .

سخـــاء الشـافعـى

وحدث محمد بن عبد الله المصرى . قال كان الشافعى أسخى الناس بما يجد .

وقال عمرو بن سواد السرجى : كان الشافعى أسخى الناس عن الدنيا والدرهم والطعام ، فقال لى الشافعى : أفلست فى عمرى ثلاث إفلاسات ، كنت أبيع قليلى وكثيرى ، حتى حلى ابنتى وزوجتى ولم أرهن قط .

وقال محمد البستى السجستانى نزيل مكة : " كان الشافعى قلما يمسك الشىء من سماحته "

فصاحته وشعره وبلاغته وشهادة العلماء له

حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت عبد الملك بن هشام النحوى صاحب المغازى يقول : (الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة) . وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعى (من أفصح الناس ، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحا).

وحدث أبو عبيد القاسم بن سلام قال : كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة (او من أهل اللغة) .

وقال الربيع بن سليمان (كان الشافعى عربى النفس عربى اللسان)

وقال أحمد بن أبى سريع (ما رأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق من الشافعى)

وحدث أبو نعيم الاستراباذى ، سمعت الربيع يقول : لورأيت الشافعى وحسن بيانه وفصاحته ـ لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته ـ التى كان يتكلم بها معنا فى المناظرة ـ لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ـ غير أنه كان فى تأليفه يجتهد فى أن يوضح للعوام "

وقال أحمد بن سريع (مارأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق منه فلم أر أحسن تأليفا من المطلبى (الشافعى) كأن كلامه ينظم درا إلى در)

وقال الامام أحمد : (مامس أحد محبرة ولا قلما إلا وللشافعى فى عنقه منه)

وقال الذهبى : كان حافظا للحديث بصيرا بعلله ، لايقبل منه إلا ماثبت عنده ولو طال عمره لازداد منه .

وفاته رحمه الله تعالى بمصر بالفسطاط سنه ٢٠٤هـ

حدث المزنى قال : دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟

قال أصبحت عن الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولكأس المنية شاربا وعلى الله جل ذكره واردا ، ولا والله ماأدرى روحى تصير إلى الجنة أو إلى النار ، فأعزيها ، ثم بكى وأنشد :

فلما قساقلبى وضاقت مذاهبى : جعلت رجائى نحو عفوك سلما

قال الربيع بن سليمان : (توفى الشافعى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة ـ بعد ما حل المغرب ـ آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين) .

وحدث الربيع : (كنا جلوسا فى حلقة الشافعى بعد مؤتة بيسير فوقف علينا أعرابى

فسلم . ثم قال أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا توفى ـ رحمه الله تعالى ـ فبكى بكاء شديدا، ثم قال : رحمه الله تعالى وغفر له . فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ويسد فى وجه خصمه واضح المحجة ويغسل من العار وجوها مسودة ويوسع بالرأى أبوابا منسدة ثم انصرف .

وقال ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان : (وقد أجمع العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه) .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه خلق كثير نكتفى بذكر واحد منهم محمد بن دريد

ألم تر آثار ابن ادريس بعده ... دلائلها فى المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهى خوالد ... وتنخفض الأعلام وهى فوارع
مناهج فيها للهدى متصرف ... موارد فيها للرشاد شرائع
ظواهرها حكم ومستبطناتها ... لما حكم التفريق فيه جوامع
لرأى ابن ادريس ابن عم محمد ... ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع
إذا المفظعات المشكلات تشابهت ... سما منه نور فى دجاهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه ... وليس لما يعليه ذو العرش واضع
توخى الهدى واستنقذته يد التقى ... من الزيغ ان الزيغ للمرء صارع
ولاذ بآثار الرسول فحكمه ... لحكم رسول الله فى الناس تابع
وعول فى أحكامه وقضائه ... على ماقضى فى الوحى والحق ناصع
تسربل بالتقوى وليدا وناشئا ... وخص بباب الكهل مذ هو يافع
وهذب حتى لم تشر بفضيلة ... إذا التمست إلا إليه الأصابع
فمن يك علم الشافعى أمامه ... فمرتعه فى ساحة العلم واسع
سلام على قبر تضمن جسمه ... وجادت عليه المدجنات الهوامع
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه ... لهن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر ... وآثاره فينا نجوم طوالع[1]

---

(١) من ديوان الشافعى تحقيق الأستاذ محمد عفيفى بتصرف .

باب حسن الخلق

شعر هذا الباب يتحدث عن الأخلاق الحسنة ، وهى تعكس السماحة وجو الكرامة وهى تحوى حكما نافعة ، وجواهر غالية تفتح البصر والبصيرة ، وتدفع بالانسان الى التصرف السليم فى مواقف كثيرة .

كتمان الأسرار

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

حمل النفس على مايزينها

صن النفس واحملها على مايزنيها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولاتولين الناس إلا تجملا ... نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى ود امرىء متلون ... اذ الريح مالت ، مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

تعريف الفقيه والرئيس والغنى

ان الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله
وكذا الغنى هو الغنى بحاله ... ليس الغنى بملكه وبماله

القناعة

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها متمسكا

فلا ذا يرانـــى علـــى بابـــه ولا ذا يـرانـــى منهمـــك
فصـــرت غنيـا بـــلا درهـــم امر علـــى الناس شبه الملك

مكارم الاخلاق

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحـت نفسى من هـم العداوات
انى احيى عدوى عنـــد رؤيته لأدفع الشـــر عـنى بالتحيـات
وأظهر البشر للانسان ابغضـه كما أن قد حشى قلبـى محبـات
الناس داء وداء الناس قربهم وفى اعتزالهـــم قطع المودات

تأتى العزة بالقناعة

امت مطامعـــى فارحـت نفسـى فان النفـس ماطمـعت تهـون
واحييت القنوع وكان ميتـــا ففى احيائـــه عـرض مصـــون
اذا طمـع يحـــل بقلـب عبـد علتـه مهانـة وعـلاه هـــون

الاعـراض عـن الجـاهـل

أعرض عن الجاهل السفيه فكل ماقـــال فهـــو فيـــه
قد خاض بحر الفرات يـــوما ان خاض بعض الكلاب فيه

كتب الى البويطى وهو فى السجن : حسن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم فانى كثيرا ماسمعت الشافعى يقول :

اهين لهم نفسى واكرمهم بهم ولاتكرم النفس التى لاتهينها

توقير الرجال

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا ومن يعص الرجال فما أصابا

السماحة وحسن الخلق

اذا سبنى نذل تزايدت رفعة وما العيب الا ان اكون مسابه
ولو لم تكن نفسى على عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه
ولو اننى اسعى لنفعى وجدتنى كثير التوانى للذى انا طالبه
ولكننى اسعى لأنفع صاحبى وعار على الشبعان ان جاع صاحبه

* * *

يخاطبنى السفيه بكل قبح فاكره ان اكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

الفضل

ارى الغر فى الدنيا اذا كان فاضلا ترقى على روس الرجال ويخطب
وان كان مثلى لافضيلة عنده يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

الزهد ومصير الظالمين

بلوت بنى الدنيا فلم ار فيهم سوى من غدا والبخل ملء اهابه

فجردت من غمد القناعة صارما ... قطعت رجائى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه ... ولا ذا برانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى الا عن الشىء لابه
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا ... ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فإنها ... ستدعى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته ... اناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولاشىء يرتجى ... ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالأمر الذى كان فاعلا ... وصب عليه الله سوط عذابه

السكوت سلامة

قالوا اسكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجواب لباب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تخشى وهى صامتة ... والكلب يخشى لعمرى وهو نباح

الصمت خير من حشو الكلام

لاخير فى حشو الكلام ... اذا اهتديت الى عيونه
والصمت أجمل بالفتى ... من منطق فى غير حينه
وعلى الفتى لطباعه ... سمة تلوح على جبينه

فضل السكوت

وجدت سكوتى متجرا فلزمته ... اذا لم اجد ربحا فلست بخاسر
وما الصمت إلا فى الرجال متاجر ... وتاجره يعلو على كل تاجر

ومما تمثل به الامام :

إذا نطـق السفيـه فـلا تجبـه فخير من اجابته السكـوت
فإن كلمتـه فـرجـت عنـه وان خليتـه كمـدا يمـوت

وكتابه « الأم » جمعه صاحبه البويطى وبوبه الربيع بن سليمان وهو يشمل أبواب الفقه كلها ، وأما كتاب الرسالة فهو أول كتاب ألف فى أصول الفقه وأصول الحديث .

ويعتبر الامام الشافعى أول من ألف فى أصول السنة ، وقوانين الرواية ومهد للعلماء من بعده طريقة التأليف والتدوين فى علوم السنة والامام الشافعى فى مقدمة المحدثين الذين يرون صحة الحديث برواية الثقة ولو كان الراوى واحدا ، وساق الأدلة على حجية خبر الواحد ورد على المخالفين فى كتابيه « الأم » و « الرسالة » .

ولا يحتج الامام الشافعى بالأحاديث المرسلة اخذا بالأحوط وخالف فى ذلك الكثير من العلماء قبله .

ولكنه نص على أن الأحاديث المرسلة التى أرسلها سعيد بن المسيب حسنة لأنه تتبعها فوجدها مسندة ، كما يرى أن مراسيل ، كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة ، أو اعتضدت بقول صحابى أو أكثر العلماء ، أو كان المرسل لو سمى لا يسمى إلا ثقة ، فحينئذ يكون مرسله حجة ولا ينهض الى رتبة المتصل . وأما مراسيل غير كبار التابعين فلا يحتج بها ، هكذا كانت موازينه العلمية الدقيقة . وعنايته بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصيـة الشافعى

وروى الشيخ الحافظ أبو محمد عبدالغنى بن عبدالواحد بن على المقدسى عن أبى منصور محمد بن على بن صباح البلدنى قال : هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه أوصى بها الى أصحابه : أن يشهدوا أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وأن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين . وأن الله

يبعث من فى القبور ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن عذاب النار حق ، وأن الحساب حق ، والميزان والصراط حق ، والله عز وجل يجزى العباد بأعمالهم ، عليه أحيا وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى ، وأشهد أن الايمان قول وعمل ومعرفة القلب ، يزيد وينقص وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله تعالى يرى فى الآخرة ينظر اليه المؤمنون عيانا جهارا ، ويسمعون كلامه ، وأنه فوق عرشه وأن القدر خيره وشره من الله عز وجل ، لايكون إلا ما أراد الله وقضاه وقدره وإن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأتولاهم ، وأستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين ، القاتلين والمقتولين ، وجميع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، والسمع لأولى الأمر مادامو يصلون ، والموالاة لهم ، ولايخرج عليهم بالسيف ، والخلافة فى قريش وأن قليل ما أسكر كثيره خمر ، والمتعة حرام ، وأوصى بتقوى الله عز وجل ولزوم السنة والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وترك البدع والأهواء واجتنابها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة ، والايمان والتفقه فى الدين ، من حضرنى منكم فليلقنى : لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وتعاهدوا الأظفار والشارب ، وإذا احتضرت فإن كانت عندى حائض فلتقم وأن تطيبوا وتدهنوا .

هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه .

وروى الشيخ الزاهد : ابو الحسن على بن أحمد بن يوسف الهكارى عن أبى شعيب وأبى ثور عن أبى محمد بن ادريس الشافعى قال : القول فى السنة التى أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عليهم مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما ، الاقرار بشهادة أن لا اله الإ الله وأن محمدا رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأومن بجميع ماجاءت به الأنبياء ، وأعقد قلبى على ماظهرَ من لسانى ، ولا شك فى ايمانى ولا أكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر ، وأكلهم الى الله عز وجل وقدره وارادته خيره وشره جميعا ، وهما مخلوقات مقدران على العباد من الله عز وجل ، من شاء الله أن يكفر يكفر ، ومن شاء ان يؤمن آمن ، ولم يرض الله عز وجل بالشر ولا يأمر به ولا يحبه ، بل يأمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ولا أنزل المحسن من أمة محمد الجنة باحسانه ، ولا المسىء باساءته النار ، خلق الخلق على ما أراد فكل ميسر لما خلق له كما جاء فى الحديث ، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم والأخذ بفضائلهم ، وأمسك عما شجر بينهم

صغيرهم وكبيرهم وأقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان تم على رضى الله عنهم ، فهم الخلفاء الراشدون ، وأعقد قلبى ولسانى على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

والكلام فى اللفظ والوقف بدعة ، والايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأومن برؤية الله تعالى فى الآخرة كما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما سمعت الله تعالى يقول فى كتابه العزيز عن الكفار : « كَلَّا إنهُمْ عَن رَبّهِمْ يَوْمَئذ لَمَحْجُوبُونَ » ... دل على أنهم فى حال الرضا عن المؤمنين غير محجوبين ينظرون إليه لايضامون فى رؤيته ، والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المسح على الخفين فى الحضر والسفر جائز . والجهاد مع كل بر وفاجر ، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة ، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح .

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة .

أحيانا الله وأماتنا عليها ، وجنبنا البدع ماظهر منها وما بطن ، إنه جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .